المملكة العربية السعودية
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الرياض - حي سلطانة

شرح كتاب

مقدمة التفسير لابن قاسم

المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ - رحمه الله

لفضيلة الشيخ:

أ. د. أحمد بن حمد الونيس

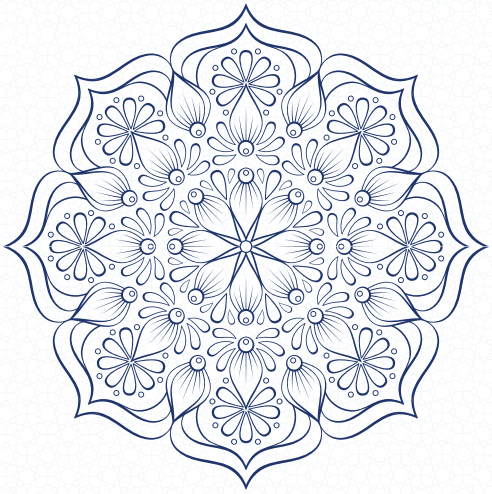

شرح مقدمة التفسير لابن قاسم

برنامج دليل ١٤٤٦هـ

المجلس الرابع

إن الحمد لله ... أما بعد:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(نَفْيُ الْمَجازِ)

المجاز خلاف الحقيقة، وذلك أن الكلام ينقسم من حيث الاستعمال إلى حقيقةٍ ومجاز. والمجاز هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، مثل: أسد للرجل الشجاع. والحمار للبليد.

والحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له، مثل: أسد. للحيوان المفترس. والحمار للحيوان المعروف.

(صَرَّحَ بِنَفْيِهِ الْمُحَقِّقونَ)

أي صرح المحققون من أهل العلم أنه لا مجاز في اللغة العربية، وأن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث بعد القرون الثلاثة، وأنه ليس معروفا في عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ولا التابعين ولا تابعيهم، وهذا قول أبي إسحاق الإسفراييني، وأبي علي الفارسي، وصرح به المحققون من أصحاب الإمام أحمد كابن حامد وابن وهب، ونصره شيخ الإسلام

ابـن تيمية والعلامـة ابن القيم، ومن المعاصرين الشـيخ ابن باز والشـيخ ابن عثيمين وأفتت به اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ ابن باز[١].

والقول الثاني: أن الكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز، أي أن المجاز واقع في اللغة العربية، وفي القرآن الكريم، وهو المشهور عند أكثر المتأخرين.

ومـن ادعـاه في لغة العرب، لزمـه أن يقوله في كتـاب الله، وإلا تناقض لنزوله بلغتهم.

ويشـترط لصحة اسـتعمال اللفـظ في مجازه عنـد القائليـن بالمجاز: وجود ارتباط بين المعنى الحقيقي والمجازي، ليصح التعبير به عنه، وهو ما يسمى في علم البيان بالعلاقة.

فـإن لم يكن هنـاك علاقة فـلا يصح المجـاز، فلو عبرت عـن البيت بالشـاة فإنـه لا يصح المجاز هنا لعدم العلاقة، لكـن لو عبرت عن النفس بالرقبة فإنه يصح المجاز؛ لوجود العلاقة، وهي أن الرقبة إذا قُطعت ذهبت النفس، لكن لا يعبر عن الإنسان بالظفر لعدم العلاقة، وهكذا.

ومـن أمثلة المجـاز عند القائليـن به: قولـه تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسـف: ٨٢] أي: واسـأل أهـل القرية؛ فحذفـت «أهل» مجـازاً؛ لأن أبناء يعقـوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يريدوا من أبيهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يسـأل أبنية القرية، وإنما مرادهم أهل القرية، فحذت كلمة أهل مجازا، وهو مجاز مرسل.

وعنـد القائلين بنفي المجـاز يقولون إنه حقيقة وليـس مجازا، وذلك بالنظر إلى السـياق والقرائن لا إلى مجرد اللفظ، ففي لغة العرب إذا قيل: اسأل القرية. فهو حقيقة في سؤال أهلها.

---

(١) ينظر فتاوىٰ إسلامية جمع المسند ٤/ ٤٦، ٤/ ٤٧.

وأيضا مثل: رأيت أسدا في المعركة يقاتل. هو حقيقة في الرجل الشجاع، ولا يمكن أن يقول أحد: إن المراد بالأسد هنا الحيوان المفترس.

ولأن اللغة العربية يختلف فيها معنى الكلمة بحسب السياق، فمثلا: رغبتُ فيه. المعنى أردته. ورغبتُ عنه. المعنى لم أرده. وكلمة (رغبت) واحدة، اختلف معناها بحسب السياق، فهي في كلا السياقين حقيقة.

(ولَم يُحفَظْ عن أحد من الأئمة القول به)

وقال الشيخ: لم ينطق به السلف، ونفس هذا التقسيم باطل، وقال ابن القيم: لم يرد الشرع بتقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، ولا دل عليه، ولا أشار إليه، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغتها إلى حقيقة ومجاز، ولا قال أحد من العرب قط، هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز، ولا وجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة، ولا بواسطة ذلك، ولهذا لا يوجد في كلام الخليل، وسيبويه والفراء وأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي وأمثالهم، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد، من الصحابة، ولا من التابعين، ولا تابعي التابعين ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة.

(وإِنَّما حَدَثَ تَقسِيمُ الكَلامِ إِلى حَقيقَةٍ ومَجازٍ، بعد القرون المفضلة)

وقال ابن القيم: هو اصطلاح حدث، بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص، وكان منشأه من المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم، من المتكلمين.

وأشهر ضوابطهم: أن الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولاً.

قال: وتقسيمهم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إما أن يكون عقليا أو شرعيا أو لغويا أو اصطلاحيا والأقسام الثلاثة الأُوَل باطلة فإن العقل لا مدخل له في دلالة اللفظ على معناه، والشرع لم يرد بهذا التقسيم، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز، وإذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيما شرعيا ولا عقليا ولا لغويا، فهو اصطلاح حادث محض غير منضبط ولا مطرد ولا منعكس بل متضمن للتفريق بين المتماثلين من كل وجه.

(فَتَذَرَّعَ بِهِ الْمُعتَزِلَةُ والجَهْمِيَّةُ إِلَى الإِلحادِ فِي الصفات)

أي تذرع المعتزلة والجهمية بالقول بالمجاز وجعلوه ذريعة ووسيلة إلى الإلحاد في صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ومعنى الإلحاد أي الميل عن الحق.

فأبطلوا حقيقة آيات الصفات، وعطلوا ألفاظها عن دلالتها على المعاني، ومن ذلك قولهم في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قالوا: هو من مجاز اللغة، تقديره: وجاء أمر ربك. وقولهم في اسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ وصفه بالرحمة مجاز؛ لأن الرحمة رقة تعتري القلب. وقولهم في استوائه على العرش، أنه بمعنى استولى، وهذا من مجاز اللغة، وقالوا في صفة اليدين: هي مجاز في النعمة، أو القدرة. وفي الوجه، أي: يبقى ربك أو ثوابه. وغير ذلك من صفات الرب جَلَّوَعَلَا وتقدس، وقالوا: يمتنع حمل آيات الصفات على الحقيقة. وهذا منهم تأويل باطل لا دليل عليه.

والواجب حمل آيات الصفات على ظاهرها وحقيقتها، ولا يجوز حملها على المجاز.

***

(قالَ الشَّيخُ: وَلَم يَتَكَلَّمِ الرَّبُّ بِهِ، ولا رَسُولُهُ، ولا أَصحابُهُ، ولا التَّابِعون لَهُم بِإحسانٍ)

هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهو من أهم الأدلة على منع وجود المجاز، لأنه لم يتكلم به ربنا سبحانه ولا رسوله ﷺ، ولا أصحابه ولا سلف الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(ومَن تَكَلَّمَ بِهِ مِن أَهلِ اللغَةِ، يَقُولُ في بَعضِ الآياتِ: هذا مِنْ مَجازِ اللغَةِ: ومُرادُهُ: أَنَّ هذا مِمَّا يَجوزُ في اللغَةِ، لم يُرِدْ هذا التَّقسيمُ الحادثِ)

كما جاء في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، أي ما يجوز فيه من المعاني، ولا يريد به المجاز الحادث.

(لا سِيَّما وقد قالُوا: إنَّ الْمَجازَ يَصِحُّ نَفْيُهُ)

القائلون بالمجاز يقولون من الفروق بين الحقيقة والمجاز أن المجاز يصح نفيه، فمثلا إذا قلت رأيت أسدا في المعركة يقاتل الأعداء. تريد الرجل الشجاع، فيجوز أن يقال: هذا ليس بأسد، بل رجل شجاع. أما الحقيقة فلا يصح نفيها، فإذا قلت: رأيت رجلا شجاعا في المعركة. لم يصح نفي كونه رجلا.

(فَكَيفَ يَصِحُّ حَملُ الآياتِ القُرآنِيَّةِ على مِثلِ ذلك)

أي إذا كان المجاز يصح نفيه فكيف تحمل الآيات القرآنية على المجاز؛ لأن معنى ذلك أنه يصح نفي شيء من كلام الله تعالى، وهذا باطل.

والقرآن كله حق، فلا يجوز أن يدعى أن فيه ما ليس بحقيقة.

***

(وَلا يهولنك إطباق المتأخرين عليه، فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه)

أي لا يفزعك أن كثيرا من المتأخرين قد أخذوا بالقول بالمجاز، فإن الحق لا يعرف بكثرة قائليه، وإنما يعرف الحق بالأدلة والبراهين عليه، فإن المتأخرين قد أطبقوا على ما هو شر من المجاز، كالشرك في الربوبية والألوهية، فيوجد في كثير من البلاد من يقصد القبور ويدعو أصحابها من دون الله تعالى، ويذبح لها وينذر ويستغيث بها، وغير ذلك من أنواع الشرك بالله تعالى.

(وَذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ: خَمسِينَ وَجهًا في بُطلانِ القول بالمجاز، وكلام الله وكلام رسوله منزه عن ذلك)

أي ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه الصواعق المرسلة في بيان بطلان المجاز خمسين وجها أي دليلا على بطلانه، وسماه طاغوتا، والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(الإعجاز)

أي ذكر إعجاز القرآن، وهو أعظم معجزات نبينا محمد ﷺ لم يقدر أحد على معارضته قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فأخبر تعالى: أنه كاف في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

***

(الْمُعجِزَةُ: أَمرٌ خارِقٌ للعادَةِ، مَقرونٌ بالتَّحَدِّي، سَالِمٌ عَنِ الْمُعارَضَةِ)

هـذا تعريـف المعجـزة المتحدى بها، وهـي أمر من الأمـور المهولة خارق للعادة المألوفة مما يعتاده الإنسـان، سالم من المعارضة أي يعجز البشر أن يأتوا بمثله، ويناقضوه ويقاوموه.

(والقُرآن مُعجِزٌ أَبداً)

أي: والقـرآن العزيز، معجز أبدا إلى يـوم القيامة وكان أكثر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام قبل محمد ﷺ حسية انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشـاهدها إلا من حضرها، ومعجزة هذه الأمة عقلية باقية، لبقـاء هذه الشـريعة، فلا يمر عصـر من الأعصار، إلا وكتـاب الله، آية من آيات الله، يظهر شـيء مما أخبر به أنه سـيكون يراه أولو البصائر دال على صحته إلى يوم القيامة.

وعـن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قال النبي ﷺ: «ما مـن الأنبياء نبي إلا أُعطـي مـا مثلُه آمن عليه البشـر، وإنما كان الذي أُوتيـت وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

قـال ابـن كثيـر: (معنـى الحديـث: ما مـن نبـي إلا أُعطـي -أي: من المعجـزات- ما آمـن عليه البشـر، أي: مـا كان دليلا علـى تصديقه فيما جاءهـم بـه، واتبعه من اتبعه من البشـر، ثـم لما مات الأنبياء لـم تبق لهم معجزةٌ بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه.

وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد -ﷺ، فإنما كان معظمُ ما آتاه الله وحيا منه إليه، منقولا الى الناس بالتواتر، ففي كل حينٍ هو كما أنزل، فلهذا قـال: «فأرجو أن أكـون أكثرهم تابعا». وكذلك وقع؛ فـإن أتباعه أكثرُ من

أتباع الأنبياء لعموم رسالته، ودوامها الى قيام الساعة واستمرار معجزته. ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١])[1].

(أَعجَزَ الفُصحاءَ مَعَ حِرصِهِم على مُعارَضَتِهِ)

أي: أعجز هذا القرآن العظيم الفصحاء على أن يأتوا بمثله، مع حرصهم على معارضته وإطفاء نوره وإخفاء أمره، ولو كان في مقدرتهم معارضتُه لفعلوا، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه حدَّث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد والاستهزاء.

(وقَد تَحَدَّاهُم تَعالَى على أن يَأتُوا بِحديثٍ مِثلِهِ، أو عَشرِ سُوَرٍ، أو سُورَةٌ)

أي: وقد تحدى الله تعالى العرب، وكانوا أهل الفصاحة والبلاغة والبيان على أن يأتوا بحديث مثل القرآن كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ ثم تحداهم بعشر سور منه، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ ثم تحداهم بسورة كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه، على كثرة الخطباء فيهم، والبلغاء، والحرص على المعارضة نادى عليهم بإظهار العجز، وإعجاز القرآن فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص٤٢.

(وَذَكَرَ العُلَماءُ وُجوهًا مِن إعجازِهِ: مِنها: أُسلُوبُهُ، وبَلاغَتُهُ)

أي وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى، وجوها كثيرة من دلائل إعجازه وما بلغوا عشر معشارها، منها: حسن أسلوبه الذي فاق أساليب كلام العرب، مع قوة فصاحتها، وبلاغته الخارقة لعادة العرب، مع أنهم فرسان البلاغة، وكل واحد من هذين النوعين من الإعجاز - وهما: الأسلوب والبلاغة - لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منها، إذ كل واحد منها خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها.

(وبَيانُهُ، وفَصاحَتُهُ)

أي ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم: بيانه الظاهر الذي هو في أعلى درجات البيان وفصاحته التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة، ولا يقدر على ذلك أحد من البشر وبذلك قامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب البيان والفصاحة ومظنة المعارضة للقرآن فلم يستطيعوا معارضته.

(وحُسنُ تأليفِهِ)

أي ومن وجوه إعجازه: حسن تأليفه ومخالفته لنظم ما عداه، والبليغ إذا سمع القرآن فرَّق بينه وبين ما عداه من النظم، ونبَّه تعالى على أن تأليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾.

(وإِخبارُهُ عَنِ الْمُغَيَّباتِ)

أي ومن وجوه إعجازه أيضا: ما فيه من الإخبار عن المغيبات المستقبلة، ولم يكن ذلك من شأن العرب، وما تضمنه أيضا من قصص الأولين، وسائر المتقدمين، حكاية من شاهدها، وحضرها وما تضمنه

أيضا: من الإخبار عن الضمائر كقوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾، ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وغير ذلك.

(والرَّوعَةُ في قُلوبِ سامِعيه، وغَيرُ ذلكَ)

أي: وذكر بعضهم من وجوه إعجازه: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، والتأثير في نفوسهم والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته، بل لا تستمع كلاما غير القرآن إذا قرع سمعك خلص إلى قلبك من اللذة والحلاوة ما يخلص منه إليه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقال: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾

ومن وجوه إعجازه: كون سامعه لا يمله، وكونه لم يزل ولا يزال غضا طريا في أسماع السامعين، وعلى ألسنة القارئين.

ومنها: جمعه بين الجزالة، والعذوبة كونه آخر الكتب، غنيا عن غيره.

وذكروا غير ذلك من وجوه إعجازه، لما اشتمل عليه من التركيب المعجز، الذي تحدى به الجن والإنس، والمعاني الصحيحة، الكاملة التي هي من أعظم التحدي عند كثير من العلماء.

وذكر ابن كثير في تفسيره ١/ ١٦٠ في تفسير أول سورة البقرة الحكمة من إيراد الحروف المقطعة في أوائل السور، مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها، وذكر الأقوال في ذلك، واختار منها: أن هذه الحروف ذُكرتْ في أوائل السور التي ذُكرتْ فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]. ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [آل عمران: ١-٣]. ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١، ٢]. ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [إبراهيم: ١] ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ١، ٢]. ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١، ٢]. ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورى: ١-٣]، وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة هذا القول لمن أمعن النظر.

(حتَّى قالَ الوَليدُ: «إنَّ لَقوله لَحلاوَةٌ، وإنَّ عَلَيهِ لَطَلاوَةٌ»)

أي الوليد بن المغيرة المخزومي وهو من سادات قريش، فقد جاء في كتب التفسير أن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال: زعموا أنه - يعني الوليد - قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل - يعني النبي ﷺ - فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطَلاوة، وإنه ليعلو وما يُعلى، وما أشك أنه سحر. فأنزل الله: ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ الآية[1].

ومعنى: وإن عليه لطلاوة. أي حُسنٌ وبهجة.

***

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٦٧.

(ومَن تَأَمَّلَ حُسنَهُ وَبَديعَهُ وبَيانُهُ وَوُجوهَ مُخاطَباتِهِ: عَلِمَ أَنَّهُ مُعْجِزٌ مِن وُجوهٍ كَثيرَةٍ)

أي ومن تأمل حسن كلام الله عَزَّوَجَلَّ وفضله، وتأمل بديعه، كالتمثيل، والتشبيه، والإيجاز وغير ذلك، وتأمل بيانه، وفصاحته، وبلاغته علم أنه معجز من وجوه كثيرة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(الأمثال)[1]

(أَمثالُ القُرآنِ: مِنْ أَعظَمِ عِلمِهِ، وعَدَّهُ الشَّافعِيُّ مما يَجِبُ على الْمُجتَهِدِ مَعرِفَتُه، ضَرَبَها اللهُ تَذكيراً وَ وَعظًا، وهِيَ: تُصَوِّرُ الْمَعانِي بِصُورَةِ الأَشخاصِ)

أَفْرَدَهُ بالتصنيف أبو الْحَسَنُ الْمَاوَرْدِيُّ، وهو مطبوع، ذكر فيه الأمثال مرتبة على ترتيب سور القرآن الكريم، مع الكلام عليها.

وتكلم عن الأمثال في القرآن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في إعلام الموقعين ٢/ ٢٧٠ وما بعدها، واستلت من إعلام الموقعين وطبعت بعنوان: الأمثال في القرآن.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

وقَدْ عَدَّهُ الإمام الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُجْتَهِدِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ.

---

(١) ذكره السيوطي في الإتقان ٤/ ٤٤-٥٢، تحت النَّوْعُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ: فِي أَمْثَالِ الْقُرْآنِ.

وضَرْبُ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ له فوائد كثيرة: منها:

التَّذْكِيرُ وَالْوَعْظُ، وَالْحَثُّ وَالزَّجْرُ وَالِاعْتِبَارُ، وَالتَّقْرِيرُ وَتَقْرِيبُ الْمُرَادِ لِلْعَقْلِ وَتَصْوِيرُهُ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ بِصُورَةِ الْأَشْخَاصِ؛ لِأَنَّهَا أَثْبَتُ فِي الْأَذْهَانِ لِاسْتِعَانَةِ الذِّهْنِ فِيهَا بِالْحَوَاسِّ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الْغَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ والغائب بالشاهد.

وأَمْثَالُ الْقُرْآنِ قِسْمَانِ:

ظَاهِرٌ مُصَرَّحٌ بِهِ، وَكَامِنٌ لَا ذِكْرَ لِلْمَثَلِ فِيهِ.

فَمِنْ أَمْثِلَةِ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ الْآيَاتُ ضَرَبَ فِيهَا لِلْمُنَافِقِينَ مَثَلَيْنِ مَثَلًا بِالنَّارِ وَمَثَلًا بِالْمَطَرِ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ الْآيَةَ وغيرها كثير.

وَأَمَّا الْكَامِنَةُ فَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُضَارِبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الْفَضْلِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ تُخْرِجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنَ الْقُرْآنِ فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ» خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا»؟ قَالَ: نَعَمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ. قَالَ نَعَمْ فِي مَوْضِعَيْنِ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ «فِي كِتَابِ اللهِ احْذَرْ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ»؟ قَالَ: نَعَمْ ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾

قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ»؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾

... قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ»؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾

... قُلْتُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»؟ قَالَ: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾

فَائِدَةٌ:

ذكر بعض أهل العلم أَلْفَاظًا مِنَ الْقُرْآنِ جَارِيَة مَجْرَى الْمَثَلِ، وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الْبَدِيعِيُّ الْمُسَمَّى بِإِرْسَالِ الْمَثَلِ، ومِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾

﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾

﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(الإقسام)[1]

هذا النوع من علوم القرآن الكريم أفرده ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بالتصنيف في مجلد سماه «التبيان في أقسام القرآن» وهو مطبوع.

(القَسَمُ تَحقيقٌ للخَبَرِ وتَوكيدٌ لهُ، ولا يَكونُ إلاَّ بِمُعَظَّمٍ؛ وهُوَ اللهُ تَعَالَى)

المقصود من القسم تحقيق صدق الخبر وتوكيده.

ولذا لا بد في المقسَم عليه أن يكون مما يحسُن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أُقسم على ثبوتها، فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي، النوع السابع والستون: في أقسام القرآن.

والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه لا يُقسم عليها لظهورها.

ولا يكون القسَم إلا باسم معظَّم عند الحالف.

ولا أعظم عند المؤمن من الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾، وقوله: (قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب) وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

والباقي كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ ﴿وَٱلشَّمْسَ﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾.

فإن قيل: كيف أقسم بالمخلوق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى؟

فالجواب: أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله تعالى أو صفة من صفاته.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: إن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله.

مسألة: حذف جواب القسم (المقسم عليه):

الغالب أن الله سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم، وتارة يحذفه، كما يحذف جواب «لو» كثيرا؛ للعلم به.

وأكثر ما يحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره، فيكون حذف المقسم عليه

أبلغ وأوجز، كقوله: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ فإنه في القسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه والشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه، وهو كونه حقا من عند الله غير مفترى كما يقول الكافرون، وتقدير الجواب: «إن القرآن لحق» وهذا مطرد في كل ما شابه ذلك كقوله: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[1] وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فإنه يتضمن إثبات المعاد.

(يُقسِمُ بِنَفسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَوصُوفَةِ بِصِفاتِهِ، وبِآياتِهِ الْمُستَلزِمةِ لِذاتِهِ وَصِفاتِهِ)

أي أنه سبحانه وتعالى يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو يقسم بآياته المستلزمة لذاته وصفاته.

وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنها من عظيم آياته.

(تارَةً على التَّوحيدِ، وَتارَةً على أنَّ القُرآنَ حَقٌّ، وَتارَةً على أنَّ الرَّسولَ حَقٌّ، وَتارَةً على الجَزاءِ وَالوَعدِ والوَعيدِ، وَتارَةً على حالِ الإنسانِ)

أي أنه سبحانه وتعالى يقسم على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها، فتارة يقسم على التوحيد كقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾.

وتارة يقسم على أن القرآن حق، كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾.

---

(١) قال في إعراب القرآن وبيانه ٩/ ٢٨١: (الجواب محذوف يدل عليه ما بعده وتقديره: أنك جئتهم منذرا بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا . . . وقدَّره أبو البقاء: لتبعثنّ أو لترجعنّ. علىٰ ما دلّ عليه سياق الآيات).

وتارة يقسم على أن الرسول ﷺ حق كقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ الآيات.

وتارة يقسم على الجزاء والوعد والوعيد كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦﴾ وقوله: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾.

وتارة يقسم على حال الإنسان كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ الآيات، وقوله: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾، وقوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾، وقوله: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ الآيات، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾.

(والقَسَمُ: إِمَّا ظاهِرٌ، وَإِمَّا مُضمَرٌ؛ وَهُوَ قِسمان: قِسمٌ دَلَّت عَلَيهِ اللاَّم؛ نَحوُ: (لَتَبْلُوُنَّ)، وَقِسمٌ دَلَّ عليهِ الْمَعنَى؛ نَحوُ: (وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها))

والقسم نوعان:

الأول: القسم الظاهر، ومن أمثلته ما تقدم من الآيات:

والثاني: القسم المضمر، وهو قسمان:

أ- قسم دلت عليه اللام نحو: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ فاللام في (لتبلون) موطئة للقسم، والتقدير: والله لتبلون . .

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ﴾ اللام موطئة للقسم،

والتقدير: والله لقد علمتم . .

ب- قسم دل عليه المعنى نحو: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ تقديره «والله».

إشكال: قيل: ما معنى القسم منه تعالى؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده!

وأُجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادات أن تؤكد أمرا.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(الْخَبَرُ وَالإِنْشاءُ[1]

الكَلامُ نَوعانِ: خَبَرٌ، وَإِنْشاءٌ، الخَبَرُ: دائِرٌ بَينَ النَّفي والإِثباتِ، وَالإِنشاءُ: أَمرٌ أَو نَهيٌ أَو إِباحَةٌ، والخَبَرُ: يَدخُلُهُ التَّصديقُ وَالتَّكذيبُ، وَالإِنشاءُ: لا)

ينقسم الكلام باعتبار إمكان وصفه بالصدق وعدمه إلى قسمين: خبر وإنشاء.

١ - فالخبر: ما يمكن أن يوصف بالصدق أو الكذب لذاته.

فخرج بـ: «ما يمكن أن يوصف بالصدق والكذب»؛ الإنشاء؛ لأنه لا يمكن فيه ذلك، فإن مدلوله ليس مخبراً عنه حتى يمكن أن يقال: إنه صدق أو كذب.

وخرج بـ: «لذاته»؛ الخبر الذي لا يحتمل الصدق، أو لا يحتمل الكذب باعتبار المخبر به، وذلك أن الخبر من حيث المخبر به ثلاثة أقسام:

---

(١) ينظر: الإتقان، النوع السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء. من ٣/ ٢٥٦- ٢٨٣.

الأول: ما لا يمكن وصفه بالكذب؛ كخبر الله تعالى ورسوله ﷺ الثابت عنه.

الثاني: ما لا يمكن وصفه بالصدق؛ كالخبر عن المستحيل شرعاً أو عقلاً، فالأول: كخبر مدعي الرسالة بعد النبي ﷺ، والثاني: كالخبر عن اجتماع النقيضين كالحركة والسكون في عين واحدة في زمن واحد.

الثالث: ما يمكن أن يوصف بالصدق والكذب إما على السواء، أو مع رجحان أحدهما، كإخبار شخص عن قدوم غائب ونحوه.

وقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن الخبر أنه يدخله الصدق والكذب.

أُورد عليه خبر الله تعالى ورسوله ﷺ الثابت عنه فإنه لا يكون إلا صدقا.

والتعريف المتقدم سالم من هذا الإيراد.

٢ - والإنشاء: ما لا يمكن أن يوصف بالصدق والكذب، ومنه الأمر والنهي. كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: من الآية ٣٦].

وقد يأتي الكلام بصورة الخبر والمراد به الإنشاء لفائدة.

مثاله قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٨] فقوله: يتربصن بصورة الخبر والمراد بها الأمر، وفائدة ذلك تأكيد فعل المأمور به، حتى كأنه أمر واقع، يتحدث عنه كصفة من صفات المأمور.

ومن أمثلة الخبر الذي بمعنى الأمر قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾.

وقد يرد الخبر بمعنى النهي نحو: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾

وقد يرد الخبر بمعنى الدعاء نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي أعنَّا، ومنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ فإنه دعاء عليه، وكذا ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾.

مسألة: الفرق بين النفي والجحد:

من أقسام الخبر النفي بل هو شطر الكلام كله، والفرق بينه وبين الجحد: أن النافي إن كان صادقا سمي كلامه نفيا ولا يسمى جحدا، وإن كان كاذبا سمي جحدا ونفيا أيضا، فكل جحد نفي وليس كل نفي جحدا.

مثال النفي قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾

ومثال الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾.

(والإخبارُ: إمَّا إخبارٌ عَن الخالِقِ، وإمّا إخبارٌ عَن الْمَخلوقِ، فالإخبار عَنِ الخالِقِ: هُوَ التَّوحيدُ؛ وما يَتَضَمَّنُهُ مِن أسماءِ اللهِ وَصِفاتِهِ)

فالله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا عن نفسه وأنه المستحق لأن يوحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والنبي ﷺ أخبرنا عن ذلك في سنته.

(وَالإخبارُ عَنْ الْمَخلوقِ: هُوَ القَصَصُ؛ وهُوَ: الخَبَرُ عَمَّا كانَ وما يَكونُ)

فإن الله تعالى قد قص علينا في كتابه العزيز ما كان من قصص الأمم السابقة، وأخبرنا عما يكون في المستقبل في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(ويَدخُلُ فيهِ: الخَبَرُ عَن الرُّسُلِ وَأُمَمِهِم وَمَن كَذَّبَهُم)

أي ويدخل في الخبر ما أخبر الله به عن الرسل عليهم الصلاة والسلام في عدة مواضع من كتابه، وعن أممهم الذين كذبوهم، وكيف عاقبهم الله تعالى، وذلك لأخذ العظة العبرة من هذه القصص، كما قال تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب).

(والإِخبارُ عَن الجَنَّةِ والنَّارِ والثّواب والعِقابِ)

أي ويدخل في الخبر الخبر عن الجنة وما أُعدَّ فيها من النعيم، وعن النار وما أعد فيها من العذاب، وعن الثواب لمن أطاعه، والعقاب لمن عصاه، ولا ريب أنه سبحانه بيَّن في القرآن كل ما يحتاج إليه في أصول الدين، فقرر فيه التوحيد والنبوة والمعاد بالبراهين الواضحة، وأخبر عن عقوبات مكذبي الرسل ومن عصاهم، ونصر الرسل وأتباعهم، وإكرامه سبحانه لأهل طاعته، وجعل العاقبة لهم، وانتقامه من أهل معصيته، وجعل الدائرة عليهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(طُرُقُ التفسير)

أي: بيان طرق تفسير القرآن، وأوجه التفسير، وغير ذلك.

(أَصَحُّ طُرُقُ التَّفسيرِ: أَنْ يُفَسِّرَ القُرآنُ بِالقِرآنِ، فَما أُجمِلَ فِي مَكانٍ فَإِنَّهُ قَد فُسِّرَ فِي مَوضِعٍ آخَرَ، وَما اُختُصِرَ فِي مَكانٍ فَقَد بُسِطَ في مَوضِعٍ آخَرَ)

فأصح طرق التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، فمن أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن.

وممن ألَّف في تفسير القرآن بالقرآن العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ (ت: ١٣٩٣ هـ) في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، قال في مقدمته ص٨: (واعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بكلام الله جَلَّ وَعَلَا من الله جَلَّ وَعَلَا . . .

والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات . . . فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء في ذلك، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب . .).

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى في الفاتحة: (صراط الذين أنعمت عليهم) لم يبين في هذه الآية من هم الذين أنعم عليهم، وبين ذلك في سورة النساء، في قوله تعالى: (فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[1].

(فَإِنْ لَم تَجِدْهُ فِي القُرآنِ فَبِالسُّنَّةِ، فَإِنَّها شَارِحَةٌ للقُرآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ)

أي فإن لم تجد تفسير القرآن في القرآن، فيفسر بسنة النبي ﷺ الثابتة عنه، قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.

ولحديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَه إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟»، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟»، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا

(١) ينظر: أضواء البيان ١/ ٥١.

آلُو فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ» رواه أبو داود ٣٥٩٢، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦٤: (وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد).

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة تفسير الحساب اليسير بالعرض.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك»، قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾؟ قال: «ذاك العَرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك» متفق عليه.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣١: (يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا)

(فَإِنْ لم تَجِدهُ؛ فَارجِعْ إِلى أَقوالِ الصَّحابَةِ) أي: فإن لم تجد تفسير القرآن في القرآن والسنة، فارجع إلى أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد أخذوا القرآن عن رسول الله ﷺ ألفاظه ومعانيه.

(فَإِنَّهُم أَدرَى بِذلكَ؛ لِما شاهَدوهُ) أي: فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أدرى بمعاني القرآن، لما شاهدوه من التنزيل والقرائن والأحوال التي اختصوا بها.

(ولِما لَهُم مِن الفَهمِ التَّامِّ والعِلمِ الصَّحيحِ) ما ليس لمن جاء بعدهم.

(لا سِيَّما كُبَراؤُهُم؛ كالخُلَفاءِ الرَّاشدينَ، والأَئمَّةُ الْمَهديينَ؛ كَابنِ مَسعودٍ وابنِ عبَّاسٍ)

أي: لا سيما كبراء الصحابة كالخلفاء الراشدين، المنوه بذكرهم في قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ».

والأئمة المهديين، كعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يقول: ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا، لأتيته وقال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن.

وكترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»، وقال فيه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نِعْم الترجمان للقرآن. وتوفي ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة اثنتين وثلاثين وعُمِّر بعده ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ستا وثلاثين سنة، ومنهم أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وأنس وأبو هريرة وجابر وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ونص الإمام أحمد على أنه يرجع إلى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن ما لم يخالفه غيره منهم، وطائفة من أهل الحديث: يجعلون تفسيره في حكم الحديث المرفوع.

***

(وإذا لَم تَجِدْهُ فَقَدْ رَجَعَ كَثيرٌ مِن الأَئمَّةِ في ذلكَ إلى أَقوالِ التّابعينَ)

أي: وإذا لم تجد معاني القرآن في القرآن، لا فيما رواه الثقات عن الرسول ﷺ ولا فيما قاله الصحابة رضي الله عنهم، فقد رجع كثير من الأئمة في تفسير القرآن إلى أقوال التابعين، الذين تلقَّوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، وقال ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» فكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر.

(كَمُجاهِدٍ، وسَعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وعِكرِمَةَ، وعَطاءٍ، والحَسَنِ، ومَسروقٍ، وسَعيدِ بنِ الْمُسَيَّبِ)

وكان مجاهد بن جبر المكي، مولى ابن مخزوم، آية في التفسير، وقال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، أسأله عنها فيم نزلت؟ وكيف نزلت؟ وكيف معناها؟.

وقال سفيان: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وكان سعيد بن جبير: أعلم التابعين بالتفسير، وقال سفيان: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك.

وقال عكرمة، كل شيء أحدثكم به في القرآن، فهو عن ابن عباس، وعطاء أيضا ممن أخذ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والحسن البصري، وعطاء بن أبي سلمة الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية، والضحاك، وعطية العوفي وقتادة وزيد بن أسلم، ومرة الهمداني، وأبي مالك وغيرهم وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة رضي الله عنهم، وقال أحمد: لا يكاد يجيء شيء عنهم إلا ويوجد فيه شيء عن أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال شيخ الإسلام: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء، وعكرمة، وكطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وكذا أهل الكوفة، من أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير وابن وهب، وذكر أيضا: من لهم لسان صدق في الأمة مثل سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وعلقمة، والأسود والحسن البصري وابن سيرين وغيرهم من التابعين.

(وَكَمالكٍ، والثَّوريِّ، والأَوزاعيِّ، والحَمَّادَينِ، وأَبي حَنيفَة، وغَيرِهِم مِنْ تابِعيْ التَّابعينَ)

فهم تلقوا معانيه عن التابعين، عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ فقال: «خير القرون: قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، والناس محتاجون لمعرفة معاني ألفاظ القرآن عنهم، وهم الواسطة بين التابعين وأتباع تابعي التابعين.

(وكَالشَّافِعي، وأحمدَ، وإسحاقَ، وأبي عُبيد وأَمثالِهِم مِن أَتباعِ تابِعِي التَّابعينَ)

فهم أئمة هدى وداخلون في المثنى عليهم، والمسلمون محتاجون لأخذ معاني القرآن عنهم، وعن غيرهم من أئمة المسلمين، وبهم حُفظت الشريعة المطهرة.

(قَالَ الشَّيخُ: وقَد يَقَعُ في عِباراتِهِم تَبايُنٌ في الأَلفاظِ، يَحسَبُها مَن لا عِلمَ عِندَهُ اختِلافًا؛ وليسَ كَذلكَ، فإنَّ مِنهُم مَن يُعَبِّر عَن الشَّيءِ بِلازِمِهِ، أَو نَظيرِهِ، ومِنهُم مَن يَنُصُّ عَلى الشَّيءِ بِعَينِهِ)

أي قد يقع في عبارات المفسرين من السلف تباين في العبارة، يظنها من لا علم عنده اختلافا، وليس الأمر كذلك.

والخلاف بين السلف قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، كأن يُعبِّر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى، كقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فبعضهم فسره بالقرآن، وبعضهم فسره بالإسلام، والقولان متفقان، لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر.

ومن الأقوال الموجودة عنهم، ويجعلها بعض الناس اختلافا أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة، كما إذا فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ تبسل: أي تُحبس، وبعضهم فسرها بقوله: تُرتهن؛ لأن كلاً منهما قريب من الآخر.

(ويُرْجَعُ إِلى لُغَةِ القُرآنِ)

أي: ويرجع فيما احتمل معان ووقع في عباراتهم تباين إلى لغة القرآن في ذلك، فإن اللفظ في القرآن يكون له نظائر، يعرف معناه باطراد ذلك المعنى في تلك النظائر، وعموم المعنى لموارد استعمال ذلك اللفظ، ولهذا تسمى تلك الألفاظ النظائر، وفيها صنف ابن الجوزي كتابه نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر.

قال ابن الجوزي في مقدمة كتابه هذا ص٨٣: (وَاعلم أَن معنى الْوُجُوه والنظائر أَن تكون الْكَلِمَة وَاحِدَة، ذكرت فِي مَوَاضِع من الْقُرْآن على لفظ وَاحِد، وحركة وَاحِدَة، وَأُرِيد بِكُل مَكَان معنى غير الآخر، فَلفظ كل كلمة ذكرت فِي مَوضِع نَظِير للفظ الْكَلِمَة الْمَذْكُورَة فِي الْموضع الآخر، وَتَفْسِير كل كلمة بِمَعْنى غير معنى الأخرى هُوَ الْوُجُوه.

فَإِذن النَّظَائِر: اسْـم للألفاظ، وَالْوُجُوه: اسْم للمعاني، فَهَذَا الأَصْل فِي وضـع كتب الْوُجُـوه والنظائر، وَالَّـذِي أَرَادَ الْعلمَاء بِوَضْـع كتب الْوُجُوه والنظائـر أَن يعرفـوا السَّـامع لهَذِهِ النَّظَائِـر أَن مَعَانِيهَا تختَلـف، وَأَنه لَيْسَ المُرَاد بِهَذِهِ اللَّفْظَة مَا أُرِيد بِالْأُخْرَى)

وَذكر أهل التَّفْسِير أَن الْأمة فِي الْقُرْآن على خَمْسَة أوجه:

أَحدهَا: الْجَمَاعَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، وفيهـا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، وَفِي آل عمرَان: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، وَفِي الْمَائِدَة: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾، وَفِي الْأَعْرَاف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

وَالثَّانِـي: الْملَّة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَـرَة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، وَفِـي يُونُس: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، (وَفِي النَّحْل: ﴿وَلَوْ شَـآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾)، وَفِي الْأَنْبِيَاء، وَالْمُؤمنِيـنَ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

وَالثَّالِـث: الْحِين. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي هود: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّـةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، وَفِي يُوسُـف: ﴿وَٱدَّكَـرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، وَلَيْسَ فِـي الْقُرْآن غَيرهمَا. وَأَرَادَ بالحين فِي الْآيَتَيْنِ السنين.

وَالرَّابِع: الإِمَام. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي النَّحْل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾.

يَعْنِي إِمَامًا يقْتَدى بِهِ، فَسُمي أمة لِأَنَّهُ سَبَب الِاجْتِمَاع. وَيجوز أَن يكون سمي أمة؛ لِأَنَّهُ اجْتمع فِيهِ من خلال الْخَيْر مَا يكون مثله فِي الْأمة.

وَالْخَامِـس: الصِّنْـف. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِـي الْأَنْعَـام: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾، أَي: أَصْنَاف، فَكل صنف من الطير وَالدَّوَاب مثل بني آدم فِي طلب الْغذَاء، وتوقي المهالك وَنَحْو ذَلِك[1].

(أَو السَّنَّةِ، أَو لُغَةِ العَرَبِ)

أي: ويرجع في تفسير القرآن فيما احتمل معان، ووقع في عبارات السلف فيه تباين إلى لغة السنة في ذلك، أو يرجع إلى لغة العرب، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

(ومَن تَكَلَّمَ بِما يَعْلَمُ مِن ذلكَ لُغَةً وَشَرعًا فَلا حرجَ عليهِ)

أي ومن تكلم بما يعلم من مقتضى لغة القرآن والسنة ولغة العرب فلا حرج عليه في ذلك، لأنه تكلم في التفسير بعلم.

(ويَحرُمُ بِمُجرَّدِ الرَّأيِ).

أي يحرم أن يفسر القرآن الكريم بمجرد الرأي، من غير علم بأصول التفسير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وقال: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ» رواه الترمذي ٢٩٥٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. والحديث ضعفه الألباني.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «. . . وَمَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه الترمذي٢٩٥١، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

---

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر ص١٤٣.

ومن أعظم الغلط في كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ، أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ، بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها لا بمقتضى اللغة.

(وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: التَّفسيرُ على أَربَعَةِ أَوجُهٍ: وَجهٌ تَعرِفُهُ العَرَبُ مِن كَلامِها)

نقل المؤلف أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في أن التفسير على أربعة أوجه.

وجه تعرفه العرب من كلامها، وهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك اللغة والإعراب، أما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها، وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب عليه تعلمه، ليصل به إلى معرفة الحكم، وإلا لم يجب، لوصوله إلى المقصود بدونه.

(وتَفسيرٌ لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجهالَتِهِ)

وهو ما يتبادر معناه إلى الأفهام، من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأن مقتضى ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ونحوه: طلب إيجاد المأمور به فما كان من نحو هذا، فلا يعذر أحد بجهله بمعاني ألفاظه لأنها معلومة لكل أحد.

(وتَفسيرٌ يَعلَمُهُ العُلماءُ)

وهو: استنباط الأحكام، وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فيرجع في ذلك إلى اجتهادهم وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، وإذا كان أحد المعنيين أظهر، وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي.

(وتَفسيرٌ لا يَعلَمُهُ إلاَّ اللهُ)

وهـو ما يجري مجرى الغيوب، وهو نحو ما تقدم في المتشـابه، الذي لا يعلمه إلا الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(التَّفاسيرُ)

أي: بيـان ذكـر بعـض التفاسـير المقبولـة، كتفاسـير أئمة الإسـلام؛ والمردودة كتفاسير أهل البدع.

(أَحسَنُ التَّفاسيرِ؛ مِثلُ: تَفسيرُ عَبدِ الرَّزَّاقِ، وَ وَكيعٍ، وَعبدٍ بنِ حُميدٍ، وَ دُحَيمٍ)

أي أحسـن التفاسـير التي لا يكاد يوجد فيها الخطأ لا من جهة الدليل ولا مـن جهـة الاسـتدلال، مثل تفسـير عبـد الرزاق بـن همام، بـن نافع الصنعاني، الحافظ الحميري مولاهم.

وتفسـير وكيع بن الجراح، أبي سـفيان الحافظ الكوفي، مات سنة مائة وسبع وتسعين.

وتفسـير عبدٍ - بغير إضافة - بن حميد بن نصر، ثقة حافظ مات سـنة مائتين وتسع وأربعين له مسند كبير وتفسير مشهور.

وتفسير دحيم، هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو، العثماني مولاهم الدمشقي الحافظ المتوفى سنة مائتين وخمس وأربعين.

***

(وتَفسيرُ أَحمدَ ، وإِسحاقَ ، وبَقِيِّ بنِ مَخلَدٍ وابنِ الْمُنذِرِ ، وسُفيانَ بنِ عُيَينَةَ ، وسُنَيدٍ)

أحمد هو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني العالم الرباني، ناصر السنة وقامع البدعة، ولد ببغداد، له المسند والتفسير وغيرهما، توفي سنة مائتين وإحدى وأربعين.

وإسحاق هو ابن إبراهيم بن مخلد التميمي النيسابوري المعروف بابن راهويه، أحد أئمة التفسير توفي سنة مائتين وتسع وثلاثين.

وبقي بن مخلد هو الأندلسي القرطبي الحافظ المفسر، مات سنة مائتين وست وسبعين.

وابن المنذر هو: محمد بن إبراهيم النيسابوري، الإمام المشهور، صاحب التصانيف المتوفى سنة ثلاث مائة وتسع عشرة.

وسفيان بن عيينة هو ابن أبي عمران ميمون الهلالي كوفي ثم مكي ثقة حافظ مشهور في التفسير، مات سنة ثمان وتسعين ومائة.

وكذا سفيان بن سعيد، بن مسروق الثوري.

وسنيد وهو: حسين بن داود المصيصي إمام مشهور مات سنة مائتين وست وعشرين، ومثل: تفسير شعبة ويزيد بن هارون، وابن أبي إياس، وروح بن عبادة وابن أبي شيبة وغيرهم، جمعوا فيها أقوال الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

***

(وتَفسيرُ ابنِ جَريرٍ ، وابنِ أبي حاتمٍ ، وأَبي سَعيدٍ الأَشجِّ ، وابنِ ماجةَ ، وابنِ مَردَوَيهِ ، والبَغَويِّ ، وابنِ كَثيرٍ)

أي: ومثل تفسير ابن جرير، الإمام الحافظ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، صاحب التفسير المشهور وغيره، وهو إمام المفسرين، توفي سنة ثلاثمائة وعشرة.

وابن أبي حاتم، وهو عبد الرحمن بن محمد، بن إدريس الحنظلي له التفسير وغيره مات سنة ثلاثمائة وسبع وعشرين.

وأبو سعيد الأشج هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي، إمام أهل زمانه كوفي ثقة أخذ عنه ابن جرير وغيره مات سنة سبع وخمسين ومائتين.

وابن ماجه هو محمد بن يزيد الربعي، مولاهم أبو عبد الله بن ماجه القزويني الحافظ صاحب السنة وغيرها توفي سنة مائتين وثلاث وسبعين.

وابن مردويه، هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني الحافظ له كتب منها التفسير وغيره، توفي سنة إحدى وأربعمائة.

والبغوي هو الإمام الجليل محيي السنة أبو محمد الحسين بن سعيد الفراء، المتوفى سنة خمسمائة، وست عشرة قال الشيخ: تفسير البغوي، مختصر من تفسير الثعلبي، لكنه صان تفسيره، عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة.

وابن كثير هو الحافظ عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي، الدمشقي، المتوفى سنة سبعمائة، وأربع وسبعين.

ولا ريب أن الاشتغال بتفاسير أهل السنة وكتبهم الذين لا تروج عليهم البدع المحدثة وسيلة إلى سلوك سبيلهم، والسير على طريقهم.

(وَحَدَثَ طَوائِفٌ مِن أَهلِ البِدَعِ تَأَوَّلوا كَلامَ اللهِ على آرائِهِم)

أي وحدث بعد زمان السلف طوائف من أهل البدع، الذين ضلوا عن الحق، ومنهم من يعلم الحق ويتعمد خلافه، ويبتدع ما يخالف كتاب الله، ويقول: هو من عند الله، إما أحاديث مفتريات وإما تفسير وتأويل للنصوص باطل، وقد أخطئوا في الدليل والمدلول حيث اعتقدوا مذهبا يخالف الحق الذي عليه السلف، وعمدوا إلى القرآن، فتأولوه على آرائهم الباطلة.

(تارَةً يَستَدِلُّونَ بِآياتِ اللهِ على مَذهَبِهِم)

أي أحيانا يستدلون ببعض الآيات على مذاهبهم البدعية، وليس فيها دلالة على ما يزعمون، بل يتعسفون بكل طريق، حتى يجعلوا القرآن تبعا لمذاهبهم وتقوية لقولهم.

(وَتارَةً يَتَأَوَّلونَ ما يُخالِفُ مَذهَبَهُم)

أي وأحيانا يتأولون الأدلة التي تخالف مذهبهم، فيحرفون الكلم عن مواضعه، والمبتدع يقصد تحريف الآيات، وتسويتها على مذهبه الفاسد.

(كالخوارِجِ والرَّافِضةِ والجَهمِيَّةِ والْمُعتَزِلَةِ والْمُرجِئَةِ وغَيرِهِم)

فتفاسير هؤلاء المبتدعة غير مأمونة، لما فيها من الباطل الكثير، وفيها حق ملبوس بباطل، وقلَّ من يتصور مرادهم.

ومن شرط المفسر الذي يؤخذ عنه التفسير أن يكون صحيح الاعتقاد، سليماً في دينه، فإن من كان مغموصا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا، فكيف يؤتمن على الدين، وهو لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن تفسير كلام الله تعالى، ولأنه لا يؤمن أن يكون متهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة، ويغري الناس بخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة.

وإن كان المفسر متهما بهوى وبدعة لم يؤمن أن يحمله هواه، على ما يوافق بدعته، كدأب القدرية فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه نشر بدعته، ليصد الناس عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى.

(قَال الشَّيخُ: وأَعظَمُهُم جَدَلاً الْمُعتَزِلَةُ)

أي قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فالمعتزلة أعظم أهل البدع جدلاً، ولهم عبارات مزخرفة تتضمن الداء العضال، قال: وكثير من المتأخرين غلب عليهم مذهب الأشاعرة، الذي حاصله نفي العلو وتأويل الآيات بالتأويلات الموروثة عن المبتدعة، وبعضهم يذكر ما عليه السلف، وما عليه أهل البدع ويختار قول المبتدعة ويقرره ولا خير في تكبير حجم تفسير بمذهب أهل البدع.

(وَقد صَنَّفُوا تَفاسيرَ على أُصولِ مَذهبِهِم)

فصنفت الرافضة وتأولت آيات من كتاب الله على مذهبها، وكذا الجهمية تأولت آيات الصفات والأسماء، وأنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، والقدرية كنفيهم علم الله بما هو كائن، وكذا غيرهم من أهل البدع.

(مِثلَ تَفسيرِ ابنِ كَيسانَ الأَصَمِّ، والجُبَّائِيِّ)

ابن كيسان، هو محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان، له كتب منها: معاني القرآن وتوفي سنة مائتين وتسع وتسعين.

والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي البصري من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه تنسب الطائفة الجبائية مات سنة ثلاث وثلاث مائة.

***

(وعَبدُ الجَبَّارِ الهَمَدانِيِّ ، والرُّمَّانِيِّ ، والكشاف)

عبد الجبار هو ابن أحمد بن عبد الجبار شيخ المعتزلة في عصره له تنزيه القرآن عن المطاعن.

والرماني هو: علي بن عيسى النحوي البغدادي له كتاب التفسير وغيره توفي سنة ثلاثمائة وأربع وسبعين.

والكشاف للزمخشري المعتزلي محمود بن عمر الخوارزمي المتوفى سنة خمسمائة وثمان وثلاثين وأشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن.

(ووافَقَهُم مُتاخِّرو الشِّيعَةِ: كالمفيدِ، وأبي جَعفَرِ الطُّوسيِّ)

أي: ووافق المعتزلة متأخرو الشيعة، وصنفوا تفاسير على أصول مذهبهم وتأولوا آيات الصفات، وحرفوها عن مواضعها، وألحدوا فيها.

والمفيد هو محمد بن النعمان رئيس الإمامية في وقته، له مصنفات منها: الكلام في وجوه إعجاز القرآن توفي سنة أربعمائة وثلاث عشرة.

وأبو جعفر الطوسي هو: محمد بن الحسن بن علي، من أكابر فقهاء الشيعة، له التبيان الجامع لعلوم القرآن المتوفى سنة أربعمائة وستين.

(اعتقَدوا رَأيًا ثُمَّ حَمَلُوا القُرآنَ عليهِ)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما في مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٠٦: (وأهل البدع . . . ابتدعوا ألفاظا ومعاني إما في النفي وإما في الإثبات وجعلوها هي الأصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه، ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه، وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها. فجعلوا بدعهم أصلا محكما، وما جاء به الرسول فرعا

له ومُشْكلا إذا لم يوافقه، وهذا أصل الجهمية والقدرية وأمثالهم وأصل الملاحدة من الفلاسفة الباطنية جميع كتبهم توجد على هذا الطريق ومعرفة الفرق بين هذا وهذا من أعظم ما يعلم به الفرق بين الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله وبين السبل المخالفة له . . . فالواجب أن يُجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة أصلا في جميع هذه الأمور، ثم يُردُّ ما تكلم فيه الناس إلى ذلك، ويبين ما في الألفاظ المجملة من المعاني الموافقة للكتاب والسنة فتقبل، وما فيها من المعاني المخالفة للكتاب والسنة فتُردّ).

(ومِنهم حَسَنُ العِبارة يَدُسُّ البِدَعَ في كَلامِهِ ؛ كَصاحبِ الكَشَّافِ ، حتَّى إِنَّهُ يَروجُ على خَلقٍ كَثيرٍ)

أي: ومن أهل البدع، من يكون حسن العبارة فصيحا، ويدس البدع في كلامه، كالزمخشري صاحب الكشاف وأمثاله من تفاسير المبتدعة، وأكثر الناس لا يعلمون.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥٩: (وتفاقم الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة فإنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي العالِم منها عجبه، فتفسير الرافضة كقولهم: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ هما أبو بكر وعمر . . . و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ هي عائشة، و ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ طلحة والزبير و ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ علي وفاطمة و ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ الحسن والحسين ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ في علي بن أبي طالب و ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ علي بن أبي طالب و ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ هو علي، ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم وهو تصدقه بخاتمه في الصلاة وكذلك قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نزلت في علي لما أصيب بحمزة.

ومما يقارب هذا من بعض الوجوه ما يذكره كثير من المفسرين في مثل قوله: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ أن الصابرين رسول الله، والصادقين أبو بكر، والقانتين عمر، والمنفقين عثمان، والمستغفرين علي، وفي مثل قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي. وأعجب من ذلك قول بعضهم: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ أبو بكر ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ عمر ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ عثمان ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ علي، وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تارة تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال، فإن هذه الألفاظ لا تدل على هؤلاء الأشخاص . . . وتتضمن تارة جعل اللفظ المطلق العام منحصرا في شخص واحد كقوله: إن قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أريد بها علي وحده، وقول بعضهم: أن قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أريد بها أبو بكر وحده).

قال البلقيني في تفسير الزمخشري: استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش، من قوله، في تفسير: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وأي فوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عدم الرؤية، وعلى هذا وأمثاله يحمل خبر: «إن في أمتي قومًا يقرءون القرآن، ينثرونه نثر الدقل، يتأولونه على غير تأويله» .

وفي صحيح البخاري ٩/ ١٦٠ معلقا: (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ... ﴿يُحَرِّفُونَ﴾

«يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ، يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ»).

(وذَكَرَ أنَّ تَفسيرَ ابنِ عَطِيَّةَ وأَمثالِهِ - وَإن كانَ أَسلَمَ مِن تَفسيرِ الزَّمخشَريِّ - لَكِنَّه يَذكُرُ ما يَزعُمُ أَنَّهُ مِن قَولِ المُحَقِّقينَ، وإنما يَعني طائِفةٌ مِن أهلِ الكلامِ الذين قَرَّروا أُصولَهُم بِطُرُقٍ مِن جِنسِ ما قَرَّرت بِهِ الْمُعتَزِلَة).

قال شيخ الإسلام كما الفتاوى ١٣/ ٣٦١: (وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم ...)

وابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم، الغرناطي صاحب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المتوفى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

(وَذكَرَ الذين أَخطَؤا في الدَّليلِ؛ مِثلَ كَثيرٍ مِن الصّوفيَّةِ والوُعَّاظِ والفُقَهاءِ وغيرِهِم؛ يُفَسِّرون القُرآنَ بِمعانٍ صَحيحةٍ ولكنَّ القُرآن لا يَدلُّ عَلَيها. مِثلَ كثيرٍ مما ذَكَرَهُ أَبو عبدِ الرَّحمن السُّلَميِّ في حَقائِقِ التَّفسيرِ)

أبو عبد الرحمن السلمي هو محمد بن الحسين، بن محمد، بن موسى، الأزدي، النيسابوري من علماء الصوفية وتفسيره على طريقتهم: يستدل عليها بألفاظ لم يرد بها القرآن، وهو الذي يسمونه الإشارات.

(وَإن كانَ فيمـا ذَكروهُ ما هو مَعانٍ باطِلَةٍ ؛ فإنَّ ذلكَ يَدخلُ في الخطإِ في الدَّليلِ والمدلولِ جَميعـًا ، حيث يكون الْمَعنى الذي قَصَدوه فاسِداً)

أي فـإن ما فسـروا بـه الآية على مـا لا يدل على مرادهـم وأخطئوا في معنـى الآية يدخل ذلك في الخطـأ في الدليل، إذ لم يدل على مرادهم، وفي المدلول إذ أخطئوا في المعنى.

(وَبِالجُملَةِ: مَن عَدَلَ عَن مَذاهبِ الصَّحابَةِ وَالتَّابعين وَتَفسيرِهِم إلى ما يُخالِـفِ ذلكَ كان مُخْطِئـًا في ذلكَ، بل مُبتَدِعـًا - وإن كانَ مُجتَهِداً مَغفوراً لَهُ خَطَؤُهُ - فالْمَقصودُ: بيانُ طُرُقِ العِلمِ وَأَدِلَّتِهِ وَطُرُقِ الصَّوابِ)

هذا من كلام شـيخ الإسـلام كما في الفتـاوى ١٣/ ٣٦١، وهو قاعدة فيمـن يؤخـذ عنه علم التفسـير، وهـم الصحابـة والتابعون لهم بإحسـان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن خالف طريقهم فهو مبتدع.

والحمد لله رب العالمين.